www.nidaulhind.com

أثر الإعلام الحديث
على المجتمع الهندي

بقلم : الأستاذ عبد القدوس
(الباحث في جامعة جواهر لال نهرو - نيو دلهي)

للإعلام دور هام في حياة الأمم والشعوب ، ولا تكاد تخلو أمة من أمم الأرض أو شعب من شعوبها من تأثيره سلبا وإيجابا ، والمجتمع الهندي ؛ ليس استثناء من هذه القاعدة ، لأنه بسب التقدم الهائل الذي وقع في وسائل الإعلام وتقنياته ، تحول العالم كله بشتى أقطاره القريبة والبعيدة إلى قرية صغيرة ، وتلاشت المسافات ؛ وتلاشت الأبعاد ؛ وأصبح العالم كله تحت الزر .

ما أكثر الأشياء التي تبتكرها الحضارة الإنسانية ؛ ثم لا تلبث أن تصبح ضرورة من الضرورات في حياة الجماعات المتحضرة ؛ ولا تستقيم هذه الحياة بدونها ؛ ولا تسير الحياة سيرها العادي بغيرها ، والإعلام أحد هذه الأشياء التي ابتكرتها الحضارة الإنسانية ذات يوم ؛ ثم أصبحت جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان ، يحتاج إليها كما يحتاج إلى الهواء والماء والطعام لإشباع حاجاته الاجتماعية ؛ ورغباته النفسية ؛ وتطلعاته المعرفية .

تطورت وسائل الإعلام مع تطور المجتمع البشري من مجتمع بدائي إلى مجتمع زراعي وصناعي ؛ وانتقاله بالتالي من مجتمع بسيط إلى مجتمع معقد ، وشهدت وسائل الإعلام خلال السنوات الأخيرة تطورا هائلا ؛ وحققت تقدما باهرا ، نشاهد اليوم مظاهره ؛ ونرقب آثاره ؛ ونتابع نتائجه في كل شعبة من شعب حياتنا العصرية .

فالوسائل الإعلامية بواقعها الراهن ؛ وأساليبها المتطورة ؛ وآفاقها

www.nidaulhind.com

الواسعة العريضة تجعل من الصعب أن يقبع شعب من الشعوب في نفسه ؛ و ينطوي على ذاته دون أن يتأثر بالعالم من حوله ؛ ويتفاعل مع شعوب العالم بكل قيمها وعاداتها وأخلاقياتها وسلوكياتها ، وظلت أداة مؤثرة ؛ و وسيلة فعالة للتنافس فيما بين الأمم تستخدمها لبث برامجها ؛ ونشر أفكارها وثقافتها ، ولا يزال الغرب يستخدمها كسلاح حاد لغزوه الفكري والسياسي والثقافي ؛ ونشر أفكاره الاستعمارية ، فإن أهله يسلطون جميع وسائلهم من صحافة وإذاعة ؛ وسينما وفيديو ؛ والإنترنت والمخابرات مستخدما أحدث التكنولوجيات لترهيب الأمم الأخرى ، ولا سيما دول العالم الثالث ؛ وفرض هيمنتهم وسطوتهم على الدول الشرقية ؛ وتنفيذ مخططاتهم ؛ وإملاء رغباتهم وإرادتهم على الدول الأخرى ، وتحقيق مصالحهم السياسية والاقتصادية .

حقا يعتبر الإعلام سلاحا ذا حدين ، فلو استخدم لهدف نبيل ؛ وغرض سام يمكن أن يكون حافزا للهمم ؛ ومفضيا إلى الخير ؛ ونابذا للشر بصوره المختلفة ، ويتسلل إلى الأنفس ؛ ويستولي على القلوب ، وقد يحمل في طياته ما يهدم القيم ؛ بدلا من أن يدعمها ، ويزعزع العقيدة ؛ بدلا من أن يعمقها ، ويعوق نشر الفكر المستقيم ؛ بدلا من أن يشجعه ، كذلك الهند أيضا تتمتع بأحدث الوسائل الإعلامية المتنوعة من الإذاعة والتلفزيون والأفلام التي تلعب دورا بارزا في نشر المعلومات في طول الهند وعرضها ، وتثقيف مجتمعها بالثقافة الحديثة ، وتعمل فيها منظمات ومعاهد ؛ وهيئات و وكالات الأنباء الكثيرة لتوفير ما يحتاج إليه المجتمع الهندي من التسلية و الترفيه والغذاء الفكري والتربوي الذي يجعله يجدد نشاطه ؛ و يريح فكره ؛ ويزيل عنه الهم والعناء ؛ ويوقظ فيه الوعي والشعور بالمسئولية تجاه الأمور التي تتعلق بحياة الإنسان ورقيه ، وتنشط القدرات من أجل التنمية والتطور.

وبما أن الهند تواجه مشاكل كثيرة في المجالات التعليمية والثقافية

www.nidaulhind.com

والاقتصادية ؛ حيث تسكن أغلبيتها الساحقة في القرى والأرياف ؛ والمناطق النائية عن المدن التي لا تتمتع بالتسهيلات ؛ و وسائل الحضارة الحديثة تحمل فيها وسائل الإعلام المبتكرة أهمية بالغة ، ولا سيما الإذاعة والتلفزيون لتحقيق مصالح مختلفة بما فيها تربية الجيل الناشئ ؛ وتوجيهه إلى العمل البناء ؛ ونشر الفضائل ؛ والأخلاق الفاضلة ؛ والقيم النبيلة في المجتمع ؛ وتوعية الشعب بالتطورات الحديثة التي تحدث على الساحات الإقليمية والدولية ، ونشر الوعي القومي تجاه التعليم والثقافة ؛ وإزالة الأمية التي تعتبر من المشاكل الرئيسة للهند من المجتمع ؛ وإيصالا للبرامج الحكومية خصوصا فيما يتعلق بالتعليم ؛ والصحة ؛ والغذاء ، وتنظيم الأسرة وغيرها إلى عامة الناس ، وقد ساعد الإعلام في الهند في رفع مستوى المعيشة ؛ وترقية نسبة المعرفة والتعليم ، وتوسيع المدارك ؛ وتعميق المفاهيم والقيم ؛ ونفخ الروح من جديد ، وخلق جو علمي ، وتكوين الرأي العام ، وهي وسيلة فعالة في يد الأحزاب السياسية لنشر آرائها وأفكارها ومنشوراتها ، وكسب التأييد في حقهم ؛ وكشف الفضائح المالية والخلقية التي تتورط فيها الأحزاب الأخرى من حين لآخر ؛ كما شاهدنا ذلك أخيرا بما قام الإعلام بدعاية كبيرة ؛ حول فضيحة (Tehelka) (الفساد المالي ؛ يعني "التهلكة" تستخدم هذه الكلمة العربية في اللغة الهندية بمعنى "الدمار" ؛ وهنا في هذا المكان بمعنى "الفساد المالي") التي هزت الحزب الحاكم من بنيانه ؛ وزعزعت كيانه ، ومثل هذه الواقعة ليست جديدة في تاريخ الإعلام ؛ بل إنه حافل بمثل هذه الحوادث .

وبما أن المجتمع الهندي بسيط ساذج تنعكس فيه آثار الثقافات والحضارات الأجنبية الوافدة من خلال الوسائل الإعلامية ؛ والعلاقات المباشرة التي أدت إلى هدم القيم العريقة ؛ والعادات والتقاليد القديمة التي كانت الهند تمتاز بها منذ زمن قديم ، وإلى تعميم الفساد الخلقي ؛ والانحلال

www.nidaulhind.com

العاطفي ، وبدأ الشبان يقبلون على ما أتت به الحضارات الأجنبية ؛ ويحاكون أساليب حياتها ؛ ومناهج تفكيرها ، ويقلدونها في كل شئ حتى في المأكل والمشرب ؛ وطريقة التكلم ؛ والعلاقات الأسرية ، حتى نرى اليوم أن القيم الاجتماعية قد تغيرت تغيرا ملموسا ؛ وتغير سلوكهم ومعيشتهم ؛ ومنهج تفكيرهم .

والأطفال فيما بين الخامسة والسادسة عشرة أكثر فئات المجتمع تأثرا بما تروجه وسائل الإعلام المختلفة ؛ لأنه تنقصه قوة المناعة التي تمكنها من التمحيص فيما تشاهد أو التفكير فيما تسمع ؛ وهم يتأثرون بما يشاهدون من البرامج المبثوثة من القنوات التلفزيونية التي قلما يبالي الآباء برقابتها ؛ و بالنتيجة يتأثر بها جيلنا الناشئ تأثيرا سلبيا ؛ كما يتأثر بها مجتمعنا ، بدأت تنشأ أمراض جديدة قد نسميها أمراض التلفزيون ؛ تجلس الأسر أمام شاشة التلفزيون بمن فيهم الآباء والأمهات ؛ والأخوات ؛ والأطفال الصغار ، ويشاهدون معا بعض البرامج المبتذلة التي لا تليق مشاهدتها ، وقد وصلت الوقاحة إلى حد أنهم يناقشون عما يدور فيها من الكلام العاطفي والجنسي ، وعن العلاقات بين الرجل والمرأة ، ويتحدثون عن مشاعر الحب وأحاسيسه ، وعما يجول في النفوس من الخواطر والخلجات التي تنطبع عليها بسبب الوقائع الغرامية المقدمة من خلال المسلسلات والأفلام والإعلانات والصور التي تظهر في الصحف والمجلات والجرائد ، وهي قد تقود إلى الحوادث الإجرامية ؛ وفساد الجيل الناشئ الذي هو مستقبل البلاد ؛ وينفق الأطفال في مشاهدة التلفزيون أوقاتهم الثمينة التي كان من الممكن إنفاقها في الأعمال البناءة ، وكذلك يجلس الشبان والأطفال أمام جهاز الكمبيوتر ، ويفتحون شبكة الإنترنت ، وينفقون فترات طويلة في تبادل الرسائل ؛ والمكالمات عبر العالم .

وإلى جانب ذلك أن الوسائل الإعلامية ؛ هي أداة صالحة لتسويق

www.nidaulhind.com

المنتجات الاستهلاكية في الأسواق الهندية خاصة إثرا لانفتاح الـــدولي ، ولا ينتج شئ في العالم إلا ويعرف في الهند من خلال الإعلانات الإعلامية بسرعة خاطفة .

وبالإضافة إلى كل هذه المحاسن فإن وسائل الإعلام قد تسبب أحيانا الشعور بمركب النقص بين الأطفال الذين يعيشون في القرى والبـــوادي ؛ و المناطق النائية ؛ وفي الأكواخ في المدن ؛ لأنهـــم يشـــاهدون كـــل يـــوم في التلفزيون الأطفال الأثرياء الذين يتمتعون بكل وسائل الـــترف والنعـــم . وكذلك يشاهدون طريقة ملابسهم وطعامهم ؛ ومستوى معيشتهم ، وكيف هم يمتصون شوكولات ؛ وزجاجات المشروبات الباردة ، ويمرحـــون بمـــا لديهم من النعم ، ويمكن أن يعتبر الناس هذه الأشياء أمورا بســـيطة ؛ ولا يهتموا بها ، ولكن كما أعتقد أن لها تأثيرا عميقا في المجتمع ؛ لأن هذه هـــي الفوارق التي توسع الفجوة بين الطبقات في المجتمع ، وتدفع هـــؤلآء الأولاد إلى ارتكاب أشنع أنواع من الجرائم ؛ لأنهم يتطلعون إلى ما هم عليه ، فـــإن ظواهر الحوادث الإجرامية المتزايدة في المدن ليست إلا نتيجة لمثـــل هـــذه الفوارق في المجتمع ، لذلك لابد من إزالة هذه الفوارق من المجتمع لإحـــلال الأمن والاستقرار ؛ وإعادة المجتمع إلى حياته الطبيعية .

١- عبد اللطيف حمزة : "مستقبل الصحافة" (دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٦١م) .

٢- عبد اللطيف حمزة : "الإعلام له تاريخه ومذاهبه" (مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٥م).

٣- شاكر إبراهيم : "الإعلام و وسائله ودوره في التنمية الاجتماعية والاقتصادية" (مؤسسة آدم للنشر والتوزيع) .

٤- إبراهيم إمام : "فن العلاقات العـــامة و الإعلام" (مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٨م) .

٥- إبراهيم إمام : "الإعلام والاتصال بالجماهير" (مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة).